بعض علماء مكة المكرمة وعلاقتهم بالحركة العلمية في الطائف خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين

د. سليمان بن صالح آل كمال
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

ظهرت العلاقة بين علماء مكة المكرمة والطائف منذ صدر الإسلام، حيث جمعت بين هؤلاء العلماء رابطة العلم، وقد أخذوا على عواتقهم تعليم أبناء مجتمعهم وتثقيفهم(١). وتزداد هذه العلاقة بينهم في فصل الصيف حين تردد علماء مكة بعوائلهم على الطائف للاصطياف، لما تشتهر به من جو عليل، وبساتين غناء جميلة، أشجارها محملة بالثمار المشهورة بمذاقها اللذيذ، فما أن يقترب هذا الفصل من كل عام إلا ونراهم يحطون رحالهم في ربوعه - فتلكم كانت لهم عادة - وأثناء إقامتهم يجتمعون بعلماء الطائف وأدبائه؛ فيتبادلون معهم المعلومات والآراء العلمية مع استمرار دورهم وعطائهم العلمي بإقامة دروسهم التي كانت لهم بمكة المكرمة في مساجد الطائف المشهورة - كمسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من المساجد - وفي دورهم(٢).

---

(١) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٣٥٤ - ٣٥٥، ج٤، ص ١١٠ - ١٢٩، ج ٥، ص ١٦٥، ١٧٦، ١٧٧.

(٢) مرداد: أبو الخير عبدالله أحمد المكي (ت ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب وتحقيق: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٩٨.

ومن خلال تراجم العلماء المكيين وطلابهم نقرأ العبارات الآتية(٣): "وحفظت عليه جانباً من القرآن الكريم، وذلك بالطائف"، "ثم صار يصيف في الطائف في بعض السنين"، "وذهب بعائلته إلى الطائف في صيف السنة المذكورة"، "ويصيف في بعض الأعوام بالطائف، ويشتغل شيخنا المترجم بنفع العباد"، "وطلع إلى الطائف في أوائل شعبان، فمرض هناك، وتوفي بالطائف"، "ورحل إلى الطائف في أيام الصيف"، "وما زال شيخنا ملازما داره التي هي ملاذ القاصدين، وملجأ الطالبين، داعياً إلى الله بحاله ومقاله، متردداً ما بين مكة والمدينة والطائف"، "وكان يتردد إلى الطائف بعائلته في أيام الصيف جملة سنين"، "ولم يرحل لغير مصر إلا في تردداته إلى المدينة المنورة، وإلى الطائف في بعض السنين، واجتمع بمشايخ أجلاء"، "وقرأت عليه جانباً من القرآن الكريم بالطائف ومكة".

ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه كان لا يخلو قرن من الزمان إلا ونرى فيه عالماً مكياً قد دَرَّس بالطائف، أو تولى قضاءه، أو ألف عنه أو زاره، أو مات فيه(٤). فمن ذلك ما ذكره العجيمي في ترجمة الشيخ أبي بكر أحمد الحرازي الخادم الطائفي أحد أئمة وخطباء مسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - وقيم المكتبة الملحقة

---

(٣) الحبشي: أبو بكر أحمد بن حسين المكي (ت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)، الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير ﷺ، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، الصفحات الآتية ٣٦، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٦٥، ٩٤، ٢٣٢، ٢٧٤، ٢٩٧، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٧٥.

(٤) لمزيد من الاطلاع ينظر: مرداد، المختصر، ص ٢٩٨، ٣٠٤، ٤٥٢، ٤٥٣، الدهلوي: عبدالستار بن عبدالوهاب الصديقي المكي (ت ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)، نثر المآثر فيمن أدركت من الأكابر، مخطوط، مكتبة الحرم المكي الشريف برقم (٨١٠) عام، الورقتان (٣٢، ٣٣). عبدالجبار: عمر (ت ١٣٩١هـ/١٩٧٢م)، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، مكتبة تهامة، جدة، الصفحات الآتية ١١٧، ١٧٥، ٢٠١، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٧٨. آل كمال: محمد سعيد بن حسن (ت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، الطائف في كتب المؤرخين، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، نادي مكة الثقافي الأدبي، مكة المكرمة، ص ٣٧ - ١٦١.

بالمسجد بما نصه(٥): "وكان صاحب الترجمة من المترددين على مولانا شيخ مشايخنا العلامة السيد عمر بن عبدالرحيم البصري المكي (ت ١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٧م)، أيام طلوعه إلى الطائف، وأخذ عنه، وحصل له به انتفاع".

أمَّا الشيخ أحمد باعنتر فعندما استوطن الطائف سنة ١٠٤٥هـ (١٦٢٥م) كان يحدّث عن الشيخ عبدالله سالم البصري الشافعي المكي المتوفى سنة (١١٣٤هـ/ ١٧٢١م)(٦). وممن تتلمذ على يده في الطائف بالمسجد المنسوب إليه (مسجد باعنتر) من المكيين الشيخ حسن العجيمي الحنفي المكي المتوفى بالطائف سنة ١١١٣هـ (١٧٠١م) صاحب كتاب "إهداء اللطائف من أخبار الطائف".

حيث قال عنه(٧): "ولم يزل متوطنا بالطائف من حدود سنة خمس وأربعين مشتغلاً بتعليم القرآن وتحصيل العلم، ثم ابتنى مسجداً بجنب داره، ولم يزل معمراً له بالأذان، وإقامة الصلوات، ومدارسة القرآن، ونشر العلم، ونفع الناس حتى نجب عليه جماعة، وداوم على ذلك، لم ير من زمان بالطائف مثله، وقد حضرت دروسه في التفسير الوسيط للواحدي، وشرح منهاج الأصول للبيضاوي، وشرح الألفية لابن عقيل، فرأيته حسن التقرير، مبارك الشيبة، واسع الصدر، ورأيت من حسن تقريره لمسائل صعبة ما يدل على مهارته، ثم استجزته، فأجاز لي لفظاً وكتابة جميع مروياته عن جميع مشايخه، وجميع ما كتبه من مجموع ومؤلف من ذلك مختصر ومطول متن وغيره، ولم يزل على كماله حتى مات".

---

(٥) كانت وفاة الشيخ الخادم بالطائف سنة (١٠٧٠هـ/١٩٥٦م)، العجيمي: حسن بن علي المكي (ت ١١١٣هـ/١٧٠١م)، خبايا الزوايا، نسخة مصورة عن مخطوط دار الكتب المصرية رقم (٢٤١٠ تاريخ)، الورقة ٨٠. ولمعرفة المزيد عن الشيخ عمر البصري ينظر المصدر نفسه، الورقة ١٦٢ وما بعدها.

(٦) العجيمي، المصدر السابق، الورقة (١٠٠).

(٧) العجيمي، المصدر السابق، الورقة (١٠١).

بل تعدى الأمر إلى أن بعض العلماء المكيين كان يضفي على نفسه لقب الطائفي، كالعالم الشيخ محمد بن عبدالمنعم الشافعي المكي المتوفى بمكة سنة ١٠٥٢هـ (١٦٤٢م)، فعن ذلك أورد صاحب نشر النور والزهر(٨): "ويقال له: الطائفي؛ لكثرة تردده إليه". وقد مدحه أحد أصحابه العلماء بقصيدة مطلعها(٩):

والله إني مغرم بالطائفي   لم لا وذلك كعبة للطائف

كما أطلق لقب العباسي على العالم الشيخ عبدالله بن محمد الطاهر بن محمد الشافعي المكي المتوفى بمكة سنة ١٠٩٥هـ (١٦٨٣م) فعنه قيل(١٠): "المكي الشهير بعباسي لكونه ولد بالطائف، المعروف عند الناس بوادي العباس".

وفي المقابل كان علماء الطائف يتجهون نحو مكة المكرمة للاستزادة من التحصيل العلمي، ولنشر العلم والمعرفة في المجتمع المكي، ومنهم على سبيل المثال العلماء الفضلاء: أبو بكر بن علي آل كمال، وعبدالقادر السبحي (المتوفيان في نهاية القرن الثالث عشر الهجري تقريباً)، وعبدالحفيظ بن عثمان القاري (ت ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) وعبدالله بن بكر آل كمال (ت ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)، وأحمد بن علي النجار (ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، ومحمد علي بن عبدالرحمن سراج (ت ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) وغيرهم من العلماء الأجلاء(١١).

كان علماء الطائف يتجهون نحو مكة المكرمة للاستزادة من التحصيل العلمي

---

(٨) مرداد، المختصر، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

(٩) تظهر البلاغة في البيت (الجناس)، والذي قام بمدحه الشيخ غرس الدين الخليلي المدني، المحبي: محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/١٦٦٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج ٤، ص ٣٣.

(١٠) قلت: نسبة إلى حبر الأمة عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - المتوفى بالطائف سنة ٦٨هـ (٦٨٧م). المحبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٠. مرداد، المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(١١) مرداد، المختصر، ص ٢٧٣، ٣٢٠. عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢١، ٥١، ٦١، ١٦٣، ١٩٧، ٢٧٤.

ومن ضمن الأسباب التي جعلت الشيخ عمر عبدالجبار - رحمه الله - يقوم بتأليف كتابه سير وتراجم ما قاله في التمهيد عن بعض من سبق من علماء الطائف(١٢): "فاشتركوا مع إخوانهم علماء المسجد الحرام في نشر التعليم والثقافة... وحيث إني حضرت حلقات الكثير من هؤلاء العلماء الأعلام، وسمعت دروسهم وطريقة أسلوبهم وإلقائهم؛ فقد رأيت من واجبي القيام بترجمة حياة كل منهم، فأوردت نموذجا من دروسه بالطريقة التي سمعتها أو بما في معناها"، وسوف يقتصر حديثنا عن العلماء المكيين وعلاقتهم بالحركة العلمية في الطائف خلال فترة الدراسة.

بعض العلماء المكيين ودورهم العلمي في الطائف:

الشيخ محمد طاهر بن محمد سعيد سنبل المكي(١٣):

ولد بمكة المكرمة في بيت علم وفضل، وبها نشأ وتلقى علومه بالمسجد الحرام على يد كبار علماء عصره، فقد قال عن نفسه في بعض إجازته لأفاضل الروم(١٤): "وأما مشايخي فكثيرون من أهل الحرمين، ومصر، والشام، وإسلامبول، والمغرب، واليمن، والطائف، والهند، وغيرها من البلاد الإسلامية" ثم أورد أسماءهم.

وهكذا نرى مدى تحصيله العلمي المتنوع الذي تمَّ له على يد كبار علماء عصره في بعض البلاد العربية والإسلامية، ومنهم علماء الطائف.

---

(١٢) عبدالجبار، المرجع السابق، ص ٢١.

(١٣) اسمه واسم والده مركب، فقد ذكر القشامي حول الأسماء المركبة في ترجمة محمد سعيد بن الشريف سرور: "كان من عادة أهل الطائف قديماً أن يسبق الاسم الأول لبعضهم اسم محمد، محمد سعيد، وهو اسم مركب الهدف منه التسمي باسم الرسول الأعظم ﷺ". قلت: وذلك ينطبق على باقي المدن الحجازية الأخرى. القشامي: مناحي بن ضاوي، تاريخ الطائف قديماً وحديثاً، نادي الطائف الأدبي، (د.ت)، ص ١٣٤.

(١٤) الدهلوي، نثر المآثر، الورقة (٤٥).

ولقد تتلمذ على يده الكثير من طلاب العلم في الحرمين الشريفين والطائف وبعض البلاد العربية والإسلامية، فمن أشهر من درس عليه في الطائف الشيخ محمد عابد السندي (ت ١٢٥٧هـ /١٨٤١م) الفقيه والمحدث ورئيس علماء المدينة فيما بعد، فعندما قدم مع الحاج اليمني لأداء فريضة الحج وأثناء مروره بالطائف صادف به الشيخ محمد طاهر سنبل يدرس بمسجد عبدالله بن العباس رضي الله عنهما(١٥)، فقرأ عليه مرة أخرى أيام الحج بمكة المكرمة، فأجازه إجازة عامة، فعن ذلك قال(١٦): "حضرت في ذي القعدة سنة ١٢١٠هـ في الطائف في مجلس الشيخ محمد طاهر سنبل ابن الشيخ محمد سعيد سنبل، وهو يقرأ في كتاب الجهاد من صحيح البخاري، ثم بعده حضرت في مكة أيام الحج، في حال تدريسه في كتاب الحج من الصحيح المذكور، وطلبت منه الإجازة في جميع مقروءاته ومسموعاته، وما أجيز له فيه من مشايخه الأعلام، وأساتذته الفِخام، فأجازني إجازة عامة، وفي صحيح البخاري على سبيل الخصوص، فقد أخذتُ بعضه منه سماعاً، وبعضه إجازة".

كذلك درس عليه بالطائف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سراج الحنفي المكي الطائفي (ت ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م) رئيس علماء مكة المكرمة، وقاضي قضاتها ومفتيها، والمدرس بالمسجد الحرام فيما بعد(١٧)، فعنه

---

(١٥) بني هذا المسجد زمن الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبو العباس أحمد المستضيء، الذي ولي الخلافة بين سنتي ٥٧٥ - ٦٢٢هـ (١١٧٩ - ١٢٢٥م). آل كمال: سليمان بن صالح، مساجد الطائف داخل السور تاريخ عمارتها ودورها العلمي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار الحارثي، الطائف، ص ١٤ - ١٥.

(١٦) بكداش: سائد، الإمام الفقيه المحدث محمد عابد السندي الأنصاري رئيس علماء المدينة المنورة في عصره، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص٢٠٥.

(١٧) سراج بكسر السين وتخفيف الراء، يعرفون الآن باسم بيت المفتي، وهم من أشهر عوائل الطائف القدامى ووجهائها، ظهر منهم العديد من العلماء، وسكناهم ما زال إلى يومنا هذا بحي شهار. آل كمال: عبدالحي بن حسن (ت ١٤١٢هـ/ ١٩٢٤م)، الطائف وأسماء أسره القديمة وبعض عاداتهم، دار الحارثي، الطائف، (د.ت)، ص ٤٥.

قال مرداد(١٨): "إن صاحب الترجمة قبل أن يشرع في طلب العلم مرَّ ذات يوم على العلامة الشيخ طاهر سنبل وهو يدرس بالطائف بمسجد سيدنا عبدالله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُ فاشتاقت نفسه للعلم، ودعا الله، وطلب منه تعالى بأن يجعله عالماً مثل الشيخ طاهر المذكور، فأجاب الله دعاءه فشرع في الطلب"، وقد حقق الله أمنيته. ومما سبق يتضح الآتي:

أولاً: حرص طلاب العلم على التتلمذ على يد الشيخ محمد طاهر سنبل المكي، وطلب الإجازة العلمية منه، وهذا يدل على مكانته العلمية آنذاك(١٩).

ثانياً: استفادة حجاج بيت الله الحرام من دروسه التي كانت تلقى بالمسجد الحرام ومسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - بالطائف في أشهر الحج وغيرها، مع ملاحظة عظم شأن من يقوم بالتدريس فيهما لكونهما المركز الحضاري العلمي عبر التاريخ الإسلامي.

ثالثاً: مواصلة تدريسه للحديث من صحيح البخاري بالمسجد الحرام من بعد مسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - بالطائف.

وبما أنه كان على المذهب الحنفي وجُلّ مؤلفاته فيه، فقد كان يقوم بتدريس الفقه الحنفي مع ما يقدمه من فتاوى لأبناء المجتمعين المكي والطائفي(٢٠)، ولم تقتصر فائدته العلمية على التدريس، فقد أنشأ

---

(١٨) مرداد، المختصر، ص ٢٩٨.

(١٩) الكتاني: عبدالحي بن عبدالكبير (ت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، طبع باعتناء وفهرسة إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ - ١٤٠٦هـ (١٩٨٢م - ١٩٨٦م)، ج ١، ص ٣٦٤.

(٢٠) لمعرفة المزيد عن مؤلفاته ينظر: البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)، ج ٦، ص ٣٥٤. مرداد، المختصر، ص ٢٢٥. الزركلي: خير الدين (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م)، ج ٦، ص ١٧٢.

نظماً ضابطاً يعرف به الزوال في جميع السنة، وذلك في مكة المكرمة والطائف وعرفة نصه(٢١):

الفَيُّ في الجَوزاءِ والسَّرَطان   بالضَّبط رُبْع قَدَم الإنسانِ
وقدمٌ في أسدٍ والثّورِ   لا غير فاحفظْه وقُل يا فخري
واجعَلْ له في حَملٍ الحوتِ والسُّنبله   نصفاً مع اثنين وحاذر تَحْمِله
وقد غَدا في الحوتِ والميزان   أربعةٌ ونصفُ ياذا الشانِ
وفَيْءُ عقربٍ كذاك الدَّلي   ستةُ أقدامٍ على التَوالي
وهو لبرج قوسٍ أيضاً والجدي   سبعة أقدام بهذا تهتدي
أعني به في مكة المشرفه   ونحوها كطائفٍ وَعَرفه
وزِدْ عليه قامةً للعصِر   أو قامتين لإمامِ العصْرِ

وهكذا أعان أهل عصره آنذاك بمكة والطائف والمشاعر المقدسة بهذا النظم لمعرفة الزوال الذي يترتب عليه دخول الوقت وخروجه لأداء شعيرة الصلاة، وأدركته المنية - رحمه الله - في مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) بعد أن دَرَّسَ وأفاد، وبلغ الغاية في نفع طلاب العلم والعباد(٢٢). وترك العديد من المؤلفات منها في مكتبة الحرم المكي الشريف نحو (٦) مخطوطات(٢٣). وفي مكتبة مكة المكرمة نحو (٤) مخطوطات(٢٤).

---

(٢١) مرداد، المختصر، ص ٢٢٦.

(٢٢) المصدر السابق نفسه.

(٢٣) هذا سوى ما فقد من مؤلفاته. المعلمي: عبدالله بن عبدالرحمن، معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١٧٢.

(٢٤) أبو سليمان: عبدالوهاب إبراهيم، وآخرون، فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٩٧.

أمَّا ما تركه بمكتبة مسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - بالطائف(٢٥) من المخطوطات فهي على النحو الآتي(٢٦):

١ - النفحة القدسية لحل ألفاظ المنظومة النسفية، في العقائد بخط نسخي جيد بتاريخ يوم الخميس سابع ذي القعدة الحرام سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩٢م)؛ أي: أن هذا المخطوط كان بالمكتبة في حياته، وقبل وفاته بنحو (١٢) سنة.

٢ - الإفصاح المتين حاشية لإيضاح المبين، في الفقه الحنفي.

٣ - حاشية على منسك الدر المختار أسماه ضياء الأبصار، في الفقه الحنفي.

٤ - شرح الإرشاد على مختصر أكمل الدين محمد الحنفي، في الفقه الحنفي.

٥ - العوائد السنبلية على الفوائد الشنشورية، في الفرائض.

وهكذا استفاد طلاب العلم بالطائف من مؤلفاته لوجودها بمكتبة عامة بمسجد عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - والذي كانت تقام فيه حلقات العلم، فيسهل عليهم ارتيادها خلال العملية التعليمية لأخذ بغيتهم منها.

وقد كان مؤسس مكتبة ابن عباس بصفة رسمية الوالي العثماني محمد رشدي الشرواني من العلماء الأفاضل، كان محباً للعلم، فمنذ

---

(٢٥) بدأ تكوين هذه المكتبة بطريقة فردية منذ القرن السابع الهجري تقريباً، والقائمون عليها خدام المسجد من (آل الخادم)، وتَمَّ تأسيسها بصفة رسمية وبطريقة منظمة من قبل الوالي العثماني على الحجاز محمد رشدي الشهير بالشرواني الدغستاني الأصل سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م. آل كمال: سليمان بن صالح، مكتبة عبدالله بن العباس ودورها الحضاري العلمي في الحياة الطائفية، جامعة طنطا، مجلة كلية الآداب، المجلد الأول، العدد الثالث عشر، ١٤٢١هـ/ يناير ٢٠٠٠م، ص ٢١٠ وما بعدها.

(٢٦) حسين: عثمان محمود، فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبدالله بن العباس بمدينة الطائف، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، الصفحات الآتية: ٩٧، ١٧٢، ١٩٥، ٢٠٩، ٢٩٠.

قدومه إلى الطائف اجتمع بالعلماء المكيين وغيرهم(٢٧)، كالسيد محمد الكتبي الحنفي المكي الخطيب والإمام والمدرس بالمسجد الحرام المتوفى بالطائف عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)، والسيد أحمد زيني دحلان المكي مفتي الشافعية في عهده وأحد أئمة المسجد الحرام (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) فقد لازمهما، ودرس عليهما، بالطائف صحيح البخاري، ومن المرجح أنهما أشارا عليه بتطوير المكتبة وتنظيمها، ويقيناً كان مجلسهم العلمي مقاماً في فصل الصيف بحكم وجودهم جميعاً في الطائف وقتئذ(٢٨).

وليس من المستبعد أنه استفاد من علمهما غيره من طلاب العلم، حيث نرى للشيخ دحلان في مكتبة مسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - مخطوطاً في البلاغة مع أنه فقيه شافعي المذهب بعنوان "حاشية على متن السمرقندية"، وقد كتب بخط نسخي جيد يوم الأربعاء ربيع الأول سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) من قبل أحد علماء وقضاة ومدرسي الطائف المشهورين آنذاك، وهو الشيخ عبدالحفيظ بن عثمان القاري الحنفي(٢٩)، الذي قام بدوره بإنشاء مدرسة على نفقته الخاصة بمسجد شمس بالطائف، واستعان بأحد علماء مكة المكرمة الشيخ

---

(٢٧) آل كمال، المرجع السابق نفسه.

(٢٨) الحضراوي: أحمد بن محمد المكي (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، اللطائف في تاريخ الطائف، نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة مكة المكرمة رقم (١٩ تاريخ)، ورقة ٨٨. ولمعرفة المزيد عن حياتي الكتبي ودحلان العلمية ينظر: مرداد، المختصر، ص ٤٧٦. غازي عبدالله المكي (ت ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م)، نثر الدرر في اختصار نثر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة د. عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان الخاصة، الورقتان ١٤٨، ١٥٩.

(٢٩) لقد التبس هذا المخطوط على حسين (فهرس المخطوطات، ص ١٩٤، ١٩٥) في جعله إياه ضمن مخطوطات الفقه الحنفي، والصحيح ما ذكر بالمتن، ذكر لي ذلك الأخ أ. د. عبدالوهاب أبو سليمان حفظه الله. ويعد الشيخ عبدالحفيظ القاري من علماء الطائف المتأخرين، ولد ومات بالطائف، وأخذ العلم عن علمائها، ومنهم والده، وله العديد من المؤلفات، ولمعرفة المزيد عن حياته العلمية ينظر آل كمال: محمد سعيد بن حسن، الطائف جغرافيته - تاريخه - أنساب قبائله، جمع وتعليق د. سليمان بن صالح آل كمال، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة المعارف، الطائف، ص ٢٣. الطائف في كتب المؤرخين، ص ١٥٠.

أحمد عبدالله الشامي لإدارة المدرسة والتعليم فيها، والشيخ الشامي نفسه من مشايخه الشيخ أحمد بن علي النجار الطائفي، وهنا نلحظ مدى العلاقة بين علماء مكة المكرمة والطائف في الأخذ من بعضهم البعض، في تبادل الخبرات العلمية والتعليمية فيما بينهم(٣٠).

السيد عمر بن عقيل السقاف المكي:

لم تقتصر علاقة العلماء المكيين على علماء وطلاب العلم بالطائف، بل تعدت إلى بناء المساجد، حيث شرع الأثرياء منهم على هذا الفعل تقرباً لله، ولنشر علمهم من خلال عقدهم حلقاتهم العلمية فيها، فبذلك جمعوا بين الفضيلتين إعمار بيوت الله ونشر العلم(٣١). فكان من هؤلاء العلماء الأجلاء السيد عمر بن عقيل السقاف العلوي الشافعي المكي المتوفى سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤م) أحد مدرسي المسجد الحرام والمقدمين لدى أمير مكة المكرمة الشريف عبدالمطلب بن غالب(٣٢) حيث قام ببناء مسجد بأسفل قرية الهضبة (محلة أو حي أسفل) من الطائف، فحمل المسجد اسمه (مسجد ابن عقيل)، وله من المؤلفات رسالة تتعلق بجمع القرآن الكريم(٣٣). وقد قام بالتعليم فيه من بعده العديد من العلماء المكيين(٣٤).

---

(٣٠) درس الشامي بالمدرسة الصولتية، وحفظ القرآن الكريم، وتخرج فيها في سنة ١٣٠٧هـ (١٨٩٠م)، وأخذ العلم من أعلام وجهابذة عصره من علماء الحرمين الشريفين، والطائف، ومن مؤلفاته نظم في قراءة ابن كثير المكي أسماه "الجواهر النقية في القراءات المكية"، وبعض القصائد الشعرية، توفي بمكة المكرمة سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م). الحبشي، الدليل المشير، ص٤٣. آل كمال: سليمان بن صالح، مسجد شمس في الطائف وأثره الحضاري في الحياة العلمية، مجلة الدارة، العددان ١، ٢، السنة السادسة والعشرون، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ص ٥٣ - ٥٦.

(٣١) كبنائهم مسجد شمس، ومسجد السنوسي، ومسجد الهنود وغيرها من المساجد. آل كمال: سليمان، مساجد الطائف، ص ١٣ هامش (١٩)، ص ٣٥، ٣٧.

(٣٢) ابن مساعد ولي مكة المكرمة مرات متفرقة، كان أولها سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م)، وآخرها سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م). مرداد، المختصر، ص ٣٨٠، ٣٨١. راوه: عبدالفتاح بن حسين المكي (ت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، مكتبة المعارف، الطائف، (د. ت)، ص ٣٦٤ - ٣٦٥، ٣٧٥ - ٣٧٨.

(٣٣) آل كمال، مساجد الطائف، ص ٣٩.

(٣٤) كالشيخ السناري وغيره. ينظر: المرجع السابق نفسه.

الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي المكي:

من علماء ومدرسي المسجد الحرام في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، عاش بمكة المكرمة، وفيها كانت وفاته، بين عامي ١٢٨٦-١٣٥٥هـ (١٨٦٩-١٩٣٦م)(٣٥).

وأخذ العلم عن كبار علماء ومشايخ الحرمين الشريفين والواردين عليهما، وعن علماء الطائف، فعنهم قال(٣٦): "وأما مشايخي من أهل الطائف فمن أجلهم العالم الفاضل شيخنا وموجهنا الشيخ عبدالمطلب الطايفي(٣٧) إمام وخطيب مسجد سيدنا عبدالله بن العباس رضي الله عنهما أخذت عنه بعض الأحاديث الواردة في الطايف... ومنهم العالم الفاضل العلامة شيخنا الشيخ عبدالحفيظ القاري الحنفي الطايفي، قرأت عنه بعض الأحاديث من الصحيح للبخاري في بيته، وأجازني، به وبسائر ما يجوز له روايته عن شيخه العلامة المفتي عبدالرحمن بن عبدالله سراج المكي الطايفي عن شيخه عبدالقادر السبحي الطايفي عن المرحوم المفتي عبدالله سراج بسنده عن العلامة السيد محمد السنوسي المكي، وهو موجود حفظه الله آمين(٣٨) إلى هنا مشايخي من أهل الطائف المأنوس".

وباستقراء النص السابق نستنتج الآتي:

أولاً: أخذ الدهلوي عن علماء الطائف ومنهم الشيخ عبدالحفيظ القاري، حيث درس عليه بداره التي كانت تحوي بين جنباتها أضخم مكتبة خاصة على مستوى مدينة الطائف آنذاك، قبل أن تُوَقَف وتُنقل

---

(٣٥) البكري الصديقي الحنفي، أبو الفيض وأبو الإسعاد. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٣٥٤.

(٣٦) الدهلوي، نثر المآثر، الورقتان ٣٢ - ٣٣.

(٣٧) من آل الخادم كانت وفاته في الطائف سنة ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م)، المصدر السابق نفسه.

(٣٨) أي: في عصر المؤلف، وهو أحد مقرئي ومدرسي المسجد الحرام، تخرج على يده العديد من الطلاب في سائر العلوم، وبخاصة في علمي الحديث والتفسير، له ثبت باسم "البدور الشارقة في إثبات ساداتنا المغاربة"، وله العديد من المؤلفات، كانت وفاته بمكة المكرمة سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م). مرداد، المختصر، ص ٤٤٣.

إلى مكتبة مسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - على يد الشيخ عبدالحفيظ القاري بعد سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م)، وبما أن القاري كان يسمح بإعارة الكتب والاطلاع والاستنساخ لمن أراد(٣٩). فمما لا ريب فيه أن الشيخ الدهلوي قد استفاد من هذه المكتبة، وبخاصة إذا علمنا أنه هو الآخر كانت لديه مكتبة خاصة بمكة المكرمة - كما سيأتي - عن طريق تبادل المعلومات والإهداءات والإعارة والنسخ للمخطوطات، فللشيخ القاري بمكتبة الحرم المكي الشريف رسالة عن الطائف تَمَّ نسخها من قبل تلميذه الشيخ عبدالستار الدهلوي المكي بعنوان "رسالة مختصرة ملتقطة من أربعة تواريخ"، جاء في آخرها ما نصه(٤٠): "هذا آخر ما اختصرته من تاريخ الطائف للفاكهي، وتاريخ ابن فهد، وتاريخ العجيمي، وتاريخ نور الدين علي بن عراق... وتمت على يد كاتبها الفقير أبي الفيض وأبي الإسعاد عبدالستار الصديقي الحنفي في ١٦ شعبان سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)". وهكذا نجد أن المؤلفات السابقة حول تاريخ الطائف قد قام بتأليفها العلماء المكيون، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في العلاقة والأثر العلمي بين علماء مكة المكرمة والطائف.

ثانياً: نعت الدهلوي شيخ شيخه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله سراج بلقب المكي الطائفي، وهذا يظهر الاشتراك بينهم حتى في إضفاء اللقب في النسبة إلى مكة المكرمة والطائف(٤١).

وقد ترك الشيخ عبدالستار الدهلوي بمكة المكرمة مكتبة خاصة كبيرة فيها نفائس المخطوطات وأمهات الكتب الدينية واللغوية أوقفها

---

(٣٩) آل كمال: سليمان بن صالح، مكتبات الطائف الخاصة، ودورها الحضاري في ازدهار الحركة العلمية خلال القرن الرابع عشر الهجري، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد السادس عشر، ١٤٢٤هـ/ يناير ٢٠٠٣م، ص ١٤٤ - ١٥٢.

(٤٠) توجد ضمن مخطوطات مكتبة الشيخ محمد سعيد آل كمال الخاصة رحمه الله. آل كمال، الطائف جغرافيته، ص ٢٤. آل كمال، الطائف في كتب المؤرخين، ص ١٥٣.

(٤١) من أشهر تلامذة الشيخ عبدالرحمن سراج من المكيين، الشيخ عبدالقادر بن عبدالغني الفتني الحنفي المكي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) الذي كان يعد أحد علماء الحجاز الأكابر؛ حيث أخذ عنه الفقه والتوحيد، ولازمه ملازمة تامة، كما أخذ العربية عن الشيخ عبدالقادر السبحي الطائفي. مرداد، المختصر، ص ٢٧٣.

بوصية منه قبل وفاته على مكتبة الحرم المكي الشريف، وفيها من مؤلفاته نحو (٢٣) كتاباً(٤٢)، منها عن الطائف ملحقات وإضافات على كتاب إهداء اللطائف من أخبار الطائف للشيخ حسن بن علي العجيمي، قال في أوله(٤٣): "وما وجدته مكتوباً بين قوسين في هذه النسخة فهو من زيادتي عليه لأجل الإيضاح أو لشيء حدث بعد المصنف"، وهكذا أسهم مع غيره من العلماء المكيين في التأليف عن الطائف.

الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي(٤٤):

ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) من أسرة علمية مشتهرة بالإفتاء على المذهب المالكي، عرفوا باسم مفتي المالكية، فتشرب منها حب العلم والمعرفة منذ نعومة أظفاره.

مشايخه:

أولهم شقيقه الشيخ عابد المالكي، فقد أخذ عنه العلم في شتى العلوم الدينية والعربية، وعليه تخرج في الفقه المالكي، وأجازه إجازة عامة، وهو يروي عن الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية، وعن شيخه السيد أحمد الزواوي، وعن شيخه الشيخ حسين إبراهيم الأزهري مفتي المالكية بمكة المكرمة والد المذكور، كما أخذ الفقه الشافعي عن السيد بكري شطا، وتلقى التفسير عن الشيخ عبدالخالق إله أبادي(٤٥)، حيث أجازه في التفسير وفي الفقه

---

(٤٢) بلغت كتب مكتبته نحو (١٧١٤) كتاباً بين مطبوع ومخطوط. ابن دهيش: عبداللطيف بن عبدالله، المكتبات الخاصة في مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص ٢٣، كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج ٥ ص ٢٢.

(٤٣) توجد بخط المؤلف بمكتبة الشيخ محمد سعيد آل كمال الخاصة رحمه الله. آل كمال، الطائف جغرافيته، ص ٢٧. آل كمال، الطائف في كتب المؤرخين، ص ١٦١.

(٤٤) ينبغي مراعاة أن اسمه مركب. الحبشي، الدليل المشير، ص ٢٧١. عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢٦٠.

(٤٥) مؤلف كتاب الإكليل حاشية تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل).

الحنفي، وسمع في الحديث عن العلامة الشيخ محمد أبي الخضير بن إبراهيم الدمياطي المدني، وقرأ صحيح البخاري والفقه الحنبلي على يد الشيخ عبدالقدوس النابلسي، وأجازه بروايته، كما أجازه السيد عبدالحي الكتاني في الحديث المسلسل(٤٦).

وقد كان حريصاً على الاستفادة من أوقاته التي قضاها بين المطالعة في الكتب والتأليف، وتَمّ له إجراء اختبار من قبل هيئة كبار علماء مكة المكرمة، حيث أجازوه بالتدريس في المسجد الحرام، فاشتهر حينئذ بلقب سيبويه زمانه(٤٧)، وسكاكي أوانه(٤٨)؛ لتدريسه علوم اللغة العربية وآدابها، وتضلعه فيها مع ممارسته للإفتاء(٤٩).

وتقلد العديد من المناصب في العهد العثماني، والهاشمي، والسعودي، كعضوية مجلس التمييز، ورئاسة مجلس التعزيرات، ووكالة المعارف وعضوية مجلس الشيوخ، وعضوية رئاسة القضاء وتدريسه بدار العلوم الدينية(٥٠).

بالإضافة إلى قيامه برحلتين علميتين إلى إندونيسيا وسومطرة في سنتي ١٣٤٣ و١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥ و١٩٢٧م، كان خلالها ينشر العلم والمعرفة بين الطلاب، مع الوعظ والإرشاد(٥١).

---

(٤٦) الحبشي، الدليل المشير، عبدالجبار، سير وتراجم.

(٤٧) عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر، الملقب سيبويه، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، مات بالأهواز سنة ١٨٠هـ (٧٩٦م). الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٨١.

(٤٨) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين، عالم بالعربية والأدب، اشتهر بعلم البلاغة، توفي بخوارزم سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م)، الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ٢٢٢.

(٤٩) الحبشي، الدليل المشير. عبدالجبار، سير وتراجم.

(٥٠) الحبشي، المرجع السابق نفسه. عبدالجبار، المرجع السابق نفسه.

(٥١) المعلمي: عبدالله بن عبدالرحمن، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٨٣٥.

كل هذه الأعمال الجليلة لم تثنه عن التأليف؛ إذ كان له ما ينيف على ستين مؤلفاً في مختلف العلوم والمعارف وبخاصة العلوم العربية، وجلها ما زال مخطوطاً، وقد ترجم له الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي وجمع أسانيده في رسالة سماها "المسك الجلي في أسانيد فضيلة الشيخ محمد علي"(٥٢).

أما علاقته بعلماء الطائف وطلاب علمه، فقد كانت تتأتى منه في فصل الصيف من كل عام، فقد كان يفضل قضاء شهوره فيه بعائلته - وتلكم كانت لديه عادة سنوية - فيقيم نشاطه العلمي بإلقاء دروسه التي كانت له بمكة المكرمة، ويجتمع بعلماء الطائف ومثقفيه(٥٣)، وأدركته منيته بالطائف في صيف عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م)، فدفن بالمقبرة المجاورة لحبر الأمة عبدالله بن العباس رضي الله عنهما(٥٤).

الشيخ محمد صالح بن إبراهيم قطان المكي(٥٥):

بدأ حياته العلمية في مكة المكرمة، ومن أشهر مشايخه الشيخ عبدالله حمدوه السناري(٥٦) وبعض علماء المسجد الحرام آنذاك، ولفطنته وسعة اطلاعه اختاره أستاذه الشيخ حسن يماني(٥٧) أحد

---

(٥٢) كانت وفاة الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي بمكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ (١٩٨٩م)، الحبشي، الدليل المشير، عبدالجبار، سير وتراجم.

(٥٣) أبو سليمان: عبدالوهاب بن إبراهيم، المكيون والاصطياف بالطائف، تقرير بقلمه، ص ٢.

(٥٤) الحبشي، الدليل المشير، ص ٢٧٤.

(٥٥) اسمه مركب واسم والده إبراهيم بن أحمد الكيلاني المكي المشهور بالقطان. آل كمال: سليمان بن صالح، التعليم في الطائف وبعض رجاله في القرن الرابع عشر الهجري، دار الحارثي، الطائف، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٣٩. أبو سليمان، المرجع السابق نفسه.

(٥٦) كانت له شهرة علمية كبيرة، ومكانة عالية، توفي بمكة المكرمة سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، للمزيد ينظر: عبدالجبار، سير وتراجم، ص ١٦٤ - ١٦٦.

(٥٧) كانت ولادته بمكة سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)، وبها نشأ، وتلقى تعليمه على يد والده ونخبة من علماء المسجد الحرام، ثم التحق بالمدرسة الصولتية، وتخرج فيها، فلازم علماء المسجد الحرام، فأجازوه بالتدريس، وكان يُعد إماماً في الفقه الشافعي في عصره بلا منازع، وتخرج على يده الكثير من طلبة العلم، توفي في سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م)؛ المعلمي، أعلام المكيين، ج ٢، ص ١٠١٩.

مدرسي المسجد الحرام مقرئا لدروسه، وقد كان لهدم المنطقة المركزية حول الحرم المكي الشريف لتوسعته أثر كبير في انتقال الكثير من المكيين إلى مدن أخرى، ومن هؤلاء العلامة الشيخ محمد صالح القطان، حيث استقر به المقام بالطائف، فأقام به دروسه صباح مساء(٥٨).

وأخذ في نشر العلم والمعرفة في المجتمع الطائفي، فكانت له ثلاث حلقات علمية، الأولى بعد صلاة الفجر بمسجد الحبر عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - (بمحلة فوق)، ويعلم فيها علوم الدين، والثانية بمسجد الهنود (بمحلة فوق) أيضاً، وتبدأ من بعد صلاة العصر، ويعلم فيها علوم العربية، والثالثة بمسجد الهادي (بمحلة أسفل) من بعد صلاة المغرب إلى العشاء، ويعلم فيها السيرة النبوية لابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير إلى أن أدركته المنية في الطائف سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، وقد أفاد منه مجتمع الطائف، وما زال أبناؤه مقيمين بالطائف إلى يومنا هذا(٥٩).

وهكذا ظهر أثره العلمي في الطائف الذي اختلف عمن سبقه من علماء مكيين بأنه كان مقيما بينهم طوال حياته، وكان يدرس طلبة العلم حسبة لله تعالى من دون أجر(٦٠).

الشيخ محمد يحيى أمان الكتبي المكي:

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)، وفي السابعة من عمره حفظ القرآن الكريم مع تجويده، ثم درس بالمدرسة الصولتية(٦١)،

---

(٥٨) أبو سليمان، المكيون والاصطياف بالطائف، ص ٤.

(٥٩) هم محمد جميل، ومحمد سعيد، ومحمد حسين، ومحمد جميل أيضا، آل كمال: سليمان، المرجع السابق نفسه.

(٦٠) كان لديه دكان صغير بمحلة فوق، يقتات منه هو وأسرته بإدارة أبنائه تحت إشرافه، هذا ما أخبرني به شقيقي الأكبر بحكم صداقته للوالد رحمه الله.

(٦١) أسسها الشيخ رحمة الله العثماني عام ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م)، وتتألف من مراحل دراسية عدة، وقد انتظمت الدراسة فيها منذ تأسيسها حتى الوقت الحاضر، وتقع بحارة الباب بمكة المكرمة، وتشبه في اختيار موادها ومناهجها تقاليد الحرم المكي. الشامخ: محمد عبدالرحمن، التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٣٩.

وبالمسجد الحرام على مشايخ عصره، وبعد أن تمكن من العلم قام بالتعليم، فعن ذلك قال(٦٢): "في سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) قدَّمْتُ أنا ورفقائي في طلب العلم عرائض نطلب فيها الاختبار من مشيخة العلماء؛ لنعطى الإجازة بالتعليم والتدريس في المسجد الحرام، ونقيد في دفتر المعلمين والمتعلمين، فأجيب طلبنا، واختبرنا في علوم عدة، وهي: التوحيد، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق، ونجحنا فيها والحمد لله، وأعطينا شهادة بذلك متوجة بإمضاء أمير مكة الشريف الحسين(٦٣)، ورئيس القضاة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سراج، وقاضي مكة المكرمة وعلماء الحرم المكي".

من النص السابق نرى التنظيم الإداري المتبع الذي كان يجري للمتقدمين للتدريس في المسجد الحرام، والمواد التي كانوا يمتحنون فيها كالعلوم الشرعية، والعلوم العربية وغيرها.

وظائفه:

عُيّن في سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) مدرساً بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة(٦٤)، وعلَّم فيها العلوم الشرعية والعربية، لمدة (٢٨) سنة إلى ١٣٦٤هـ (١٩٤٤م)، فانتقل بعدها عضواً بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة، ثم في عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م) عين عضواً برئاسة

---

(٦٢) ينبغي مراعاة أن اسم الشيخ محمد يحيى أمان مركباً. بيلا: زكريا بن عبدالله (ت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان، مخطوط مكتبة د. عبدالوهاب أبو سليمان الخاصة، ويجري دراسته والتعليق عليه من قبل أ. د. محمد إبراهيم أحمد علي، و أ. د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، ج ٢، ورقة (٧٥).

(٦٣) ولي مكة المكرمة سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، ثم أعلن نفسه ملكاً على الحجاز، وبقي إلى عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)؛ حيث تنازل لابنه علي بالملك، مات سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م). راوه، أمراء البلد الحرام، ص ٤١٢ وما بعدها.

(٦٤) أسسها الشيخ محمد علي زينل عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، وكانت الدراسة فيها تتألف من ثلاث مراحل، كل مرحلة فيها ثلاث سنوات، هي المرحلة التحضيرية، والمرحلة الابتدائية، والمرحلة الرشدية. الشامخ، التعليم، ص ٥٣، ٥٤.

القضاة إلى عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م)، حيث عين قاضياً للطائف إلى سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)، ثم عاد بعدها مرة أخرى عضواً بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة، وله العديد من المؤلفات(٦٥)، وبالرغم من عودته إلى مكة المكرمة إلا أنه كان لا ينقطع في كل عام من قضاء فصل الصيف بالطائف، ولإجادته للفقه الحنفي والفتوى فيه أطلق عليه لقب (أبو حنيفة الصغير)، وقد استفاد من علمه وقضائه المجتمع الطائفي(٦٦) من حيث الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للنزاع بالأدلة الشرعية(٦٧).

أمَّا عن مجالسه العلمية في الطائف فقد ذكر الشيخ زكريا بيلا - رحمه الله - ما نصه(٦٨): "في صيف عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) ذهبت إلى منزله بالطائف قرب سوق الخضرة عند باب الريع(٦٩)، وقرأ علي في عدة مجالس رسالته في الرد على من يقول بعدم سنية الجمعة القبلية". وهكذا امتد نشاطه العلمي، وشمل طلاب العلم بالطائف.

وهناك العديد من العلماء المكيين الذين نلمس علاقتهم بعلماء الطائف وأثرهم في الحياة العلمية الطائفية - في الثمانينيات الهجرية بعد الثلاثمئة والألف - أثناء إقامتهم بالطائف في فصل الصيف من كل عام، كالعلامة القاضي الشيخ عبدالله بن أحمد المغربي المكي (ت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) الذي بدأ حياته الوظيفية مدرساً

---

(٦٥) الحبشي، الدليل المشير، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٦٦) أبو سليمان، المكيون والاصطياف بالطائف، ص ٣.

(٦٧) هذا ما عرَّف به الجمهور القضاء. عوض: إبراهيم نجيب محمد (ت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، القضاء في الإسلام تاريخه ونظامه، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، ص ٧.

(٦٨) الجواهر الحسان، ج٢، الورقة (٧٤) الهامش.

(٦٩) أحد أبواب سور مدينة الطائف، ويقع في الجهة الغربية للمدينة، وما زال الموقع يحمله بعد إزالة السور سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م). آل كمال: سليمان بن صالح، تحصينات الطائف العسكرية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة والعشرون، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ص ١٣٨، ١٤٠.

ومديراً لإحدى مدارس عقيق الطائف، وهي إحدى المدارس التي أسسها شيخه وأستاذه العلامة الشيخ أحمد النجار الطائفي(٧٠)، والشيخ محمد صالح بن عبدالرحمن قزاز (ت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامي الذي حينما سُئِل عن حياته العلمية أجاب قائلاً(٧١): "درست شيئاً من العلوم على يد بعض علماء المسجد الحرام، وأخيراً التزمت دراسة فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر على فضيلة الشيخ أحمد النجار، وعلى أثر اختتامي للكتاب أجازني بتدريسه، فدرسته مدة وجيزة أثناء إقامتي بالطائف".

وكذلك الشيخ عبدالفتاح راوه (ت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) فعنه ذكر سفر بقوله(٧٢): "إذا حل وقت الصيف ذهب إلى مدينة الطائف فيقوم بالتدريس في مسجد سيدنا عبدالله بن العباس حبر الأمة وترجمان القرآن في العلوم الإسلامية من اللغة والفقه والفرائض، فيجلس إليه بعض الطلاب من أهل الطائف والمصطافين فيه من مدن المملكة، ومرة جلس في حلقة درسه رجل كبير من أهل الخليج، فاستهل الشيخ درسه في الفرائض، فقال هذا الخليجي صائحاً: وأيش الفرائض؟ هي الصلاة والصيام والحج والاعتمار!؟، فقال له الشيخ عبدالفتاح: قرِّبْ هنا، وعلمه مفهوم ومعنى الفرائض، فقال الرجل: والله يا شيخ فتاح، إنني ملازم درسك حتى الأفول إلى الديار، فضحك الجميع".

---

(٧٠) سفر: حسن بن محمد، وفيات الأعلام من علماء وقضاة البلد الحرام، جريدة عكاظ، الجمعة ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، السنة الخامسة والأربعون، العدد (١٣٤٣٩)، ص ٢٦.

(٧١) رفيع: محمد عمر (ت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط١، نشر نادي مكة الثقافي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٢٦.

(٧٢) سفر، وفيات الأعيان من علماء المسجد الحرام، مقال نشر بجريدة عكاظ، الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، السنة الخامسة والأربعون، العدد (١٣٤٥٣)، ص ٢٧.

وقد كانت أشهر الصيف فرصة لهؤلاء العلماء والأدباء المكيين أيضاً لملاقاة نظرائهم من علماء وأدباء الطائف في مكتبتي كل من العلامة الأديب الشيخ محمد سعيد بن حسن آل كمال(٧٣) والعلامة الأديب السيد محمد المؤيد(٧٤). وكان حضورهم في هذه المكتبات ليتداولوا في جلساتهم الموضوعات العلمية والأدبية والاجتماعية، ومن هؤلاء العلماء المكيين الأديب الأستاذ عبدالسلام الساسي (ت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، والعلامة الأديب الشيخ أحمد علي الكاظمي (ت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، والأديب الكبير الشيخ عبدالعزيز الرفاعي (ت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، وفضيلة إمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ عبدالله عبدالغني خياط (ت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، وغيرهم من العلماء والأدباء، مما ينتج عنه تلاقح الأفكار وإثراء المعلومات فيما بينهم في مختلف العلوم والمعارف الذي ينعكس بدوره على طلاب العلم والمعرفة(٧٥).

> **أشهر الصيف فرصة لهؤلاء العلماء المكيين لملاقاة نظرائهم من علماء وأدباء الطائف**

---

(٧٣) المتوفى بالطائف سنة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، صاحب مكتبة المعارف بالطائف التي أسسها في عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م). أبو سليمان: عبدالوهاب إبراهيم، العلماء والأدباء الوَرّاقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م)، ص ٢٠٤.

(٧٤) المتوفى بالطائف سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)، صاحب مكتبة المؤيد بالطائف أسسها في الستينيات الهجرية بعد الثلاثمئة والألف. المرجع السابق نفسه، ص ١٨١.

(٧٥) أبو سليمان، المكيون والاصطياف بالطائف، ص ٣، ٤.